

ولم يبق أمامهم سوى الحل الثوري للحصول على حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

" فكان حرك البربر في عهد هشام. جزءا من التحرك الثوري العام الذي اجتاحت ولايات الدولة الأموية. من المغرب حتى أواسط آسيا في المشرق. مروراً بالانتفاضة العلوية الأخيرة في العراق. وإذا كانت قوات الخلافة قد نجحت في تجميد الانفجار وتطويق تمرد الترك... وإذا كانت هذه القوات نفسها قد سحقت في وقت لاحق حركة زيد بن علي. وهي مجرد مشروع للثورة. لم يكتمل بعد. فإن التحدي الكبير الذي جابه النظام المركزي في أقاصي المغرب كان من العنف بحيث أن محاولاته التأديبية. باءت في معظمها بالفشل" (1). فسكوت ذوي الثورة كان مؤقتاً فقط. لأنها تواصلت أثناء التواجد العباسي في المغرب وأسفرت عن تكوين دول مستقلة متعددة.

وقبل البدء العسكري للثورة. عبر المغاربة عن نضجهم "واتزانهم في معالجة الأمور الساخنة بحكمة. وعدم تسرعهم في الاندفاع نحو استعمال العنف. فأثروا الاتصال بالخليفة نفسه لاستطلاع رأيه في تصرفات الولاة. وإطلاعه على ما نال الرعية منهم ومعرفة وجهة نظره في الانتهاكات التي يرتكبها عماله وولائته. فشكّلوا وفداً من بعض شيوخ القبائل المغربية ووجهائها. بلغ عددهم أكثر من عشرين شيخاً برئاسة ميسرة المطغري" (2). "ويتضح من عدد الوفد أهميته وخطورة المهمة

(1) - إبراهيم بيضون. ملامح التيارات السياسية في القرن 1 هـ ص 349.

(2) - عبد العزيز فاللي. م. س. ص 53-52.

### المبحث الرابع:

## ثورات المغاربة رداً على تجاوزات الولاة:

عندما نطلع بعين موضوعية. على السياسة التي اتبعتها الدولة الأموية بشكل خاص ومن بعدها الدولة العباسية. في بلاد المغرب. وهي السياسة التي ابتعدت كثيراً عن القيم الحقيقية والمبادئ النبيلة للدين الإسلامي. وعندما نطلع على مجريات أحداث بلاد المغرب في هذه الفترة. وقبلها. نكون قد أدركنا باليقين المطلق أن المغاربة لن يتركوا هذه الأحداث تمر دون أن يعبروا عن رأيهم وموقفهم. تعبيراً ثورياً إيجابياً كما كان شأنهم دائماً فقد رأينا لمحات من ثوراتهم. على تعسف البيزنطيين و الرومان. ثم ردهم على تجاوزات بعض قادة الفتح. وهو الرد الذي عبر عنه كل من كسيلة و داهيا.

أما أثناء حلم الولاة فقد كانت بوادر الثورة تلوح في الأفق منذ البداية. بحيث قتل يزيد بن أبي مسلم على يد حرسه من البربر بعد ما أظهر تجاههم من عنصرية واضحة فيما اضطر عبيدة بن عبد الرحمان السلمي إلى مغادرة البلاد خوفاً على مصيره.

على أن الاندلاع الحقيقي للثورة كان في ولاية عبيد الله بن الحجاب. نتيجة الضغط الكبير الذي مارسه هذا الوالي في سياسته تجاه المغاربة. الذين ضاقوا من السياسة الأموية

ذلك أم لا؟" (1).

"و عندما طال مقام الوفد المغربي، بقيادة ميسرة في دمشق، ونفذت نفقاتهم وخاب رجائهم في مقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك" (2). عادوا إلى بلادهم، "وأدرك ميسرة وجماعته أن الخلافة متواطئة مع عمالها فيما حدث بالمغرب من ظلم وجور وعقدوا العزم على الثورة" (3). بعد أن كانوا "من اسمع أهل البلدان وأطوعهم" (4).

وبويع ميسرة بالإمامة على إثر عودته، "وسرعان ما انضمت إلى قبيلته جميع قبائل المنطقة من غمارة ومكناسة وبرغواطة" (5) "فكانت ثورة البربر بالمغرب سنة 122، وكانت وقائع كثيرة، يطول ذكرها" (6) على حد تعبير ابن عذاري.

"فخرج ميسرة المطغري، ووثب على عمر بن عبد الله المرادي بطنجة فقتله... وصار إلى السوس وهاجم قوات إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، فهزمه وقتله وأضطرم المغرب على إثر ذلك نارا" (7).

"هكذا نجح الثوار في هذه المعركة الخاطفة التي تعتبر ردا

(1) - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 4، ص 254-255.

(2) - عبد العزيز فلالي، م. س، ص 55.

(3) - محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، ص 50.

(4) - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 4، ص 254.

(5) - سعد زغلول، م. س، ص 288.

(6) - ابن عذاري، م. س، ص 52.

(7) - عبد العزيز سالم، م. س، ص 305.

التي تكفل بها" (1). وتوجه الوفد إلى دمشق راغبا في مقابلة الخليفة هشام لطالبته بإصلاح الوضع في المغرب، ولكنهم لم يتمكنوا من الدخول إليه، إذ منعهم كاتبه وحاجبه (الأبرش) " عند ذلك دار حوار بينه وبينهم، وتركوا له شكوى من عدة نقاط يقدمها للخليفة، وسجلوا أسماءهم وألقابهم في عارضة ليطلع عليها الخليفة هشام ذاته" (2).

والأكيد أن الوفد كان بليغا في التعبير عن الأوضاع التي آل إليها المغرب وعبر بطريقة واضحة عن مطالب أهله، وخاطب أعضاؤه الحاجب الأبرش خطابا يحمل الكثير من الأسى والألم من جراء ما اعتاد الولاة على اقترافه في حق المغاربة، وما جاء في الشكوى التي قدمها الوفد ما يلي: "أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبيجنده، فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال: هم أحق به، فقلنا: هو أخلص لجهادنا لأننا لا نأخذ منه شيئا، إن كان لنا فهم منه في حل، وإن لم يكن لنا لم نرده، وقالوا: إذا حاصرنا مدينة قال: تقدموا وأخر جنده، فقلنا: تقدموا فإنه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا وكفييناهم، ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا: ما أيسر هذا لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك، وخلييناهم وذلك، ثم إنهم ساومونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة، ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم، أعن رأي أمير المؤمنين

(1) - المختار العريايوي، م. س، ص 56.

(2) - عبد العزيز فلالي، م. س، ص 54.

وموازاة مع ذلك، " أقدم بربر الأندلس على الثورة حينما بلغتهم أنباء ثورة أبناء عمومتهم على العرب في إفريقية، تضامنا معهم، وشجعهم على إعلان ثورتهم ما أحرزه بربر المغرب من انتصارات على جيوش الخلافة الأموية ... لاسيما أن بربر الأندلس كانوا ساخطين على العرب لما استأثروا به دونهم من خيرات البلاد والتسود والحكم" (1) وهكذا اجتمع بربر الأندلس " ووثبوا على أميرهم عقبة بن الحجاج السلولي فقتلوه" (2).

وأسفرت هزائم العرب في المغرب والأندلس عن تمرد العرب بالقيروان على واليها عبيد الله بن الحباب وتنجيته عن الولاية، فاستدعاه الخليفة هشام بن عبد الملك بعد أن غضب غضبا شديدا لما حل بالعرب، وعزم على الانتقام من البربر " فبادر إلى إعداد حملة من الجيش الشامى الأداة العسكرية الرئيسية في دولة الأمويين" (3)، " واختار لقيادته، ولولاية إفريقية شيخا من أعيان القيسية الخالص، هو كلثوم بن عياض القشيري وجعل له نائبين يتوليان الإمارة بالتوالي إذا ما حدث له حدث هما : ابن أخيه بلج بن بشر القشيري، وثعلبة بن سليمة العاملي" (4).

وخاطب الخليفة هشام، قائد جيشه قائلاً: " أقتل أولئك الرجال الذين كانوا يفدون علينا من المغرب، أصحاب الغنائم، قيل: نعم يا أمير المؤمنين، قال: والله لأغضين لهم غضبة عربية،

(1) - حمدي عبد المنعم محمد حسين، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، 1993، ص 4.

(2) - الرقيق، م، س، ص 75.

(3) - إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن 1هـ ص 255.

(4) - سعد زغلول، م، س، ص 293.

عنيفا وقويا تجاه أخطاء الإدارة المركزية ولاسيما في المناطق البعيدة عن السلطة الأموية، حيث تقطن الفئات الاجتماعية الريفية التي تعيش على هامش الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية رغم ما تتميز به من هياكل قبلية كبيرة فكانت انتفاضتهم سريعة وخاطفة، استطاعوا من خلالها أن يحكموا قبضتهم على المنطقة في فترة زمنية محدودة وأزالوا مظاهر الحكم الأموي منها، وبرز بذلك أسم ميسرة وأصحابه في الأفق، وعلا جهمهم في سماء المعارضة المسلحة ضد السلطة المركزية المتهممة بالظلم والجور" (1)، " ولقد روعت هذه التطورات ابن الحباب، لاسيما بعد مقتل ابنه حاكم السوس فاستبد به الغضب وعول على الانتقام الفوري، غير أنه كان في وضع لا يشجعه على اتخاذ قرار من هذا النوع، حيث الجزء الأكبر من جيشه في مهمة خارجية، فحاول ما استطاع حشد ما تبقى من طاقاته بقيادة خالد بن أبي حبيب وإرسالها إلى السوس الأدنى، في الوقت الذي استدعى قائده حبيب بن أبي عبيدة للالتحاق بدوره في منطقة التمرد ... وعلى مقربة من طنجة مركز الثورة تعرض الجيش الأموي لهزيمة ساحقة في معركة وادي شلف، حيث قضى على الحملة بمن فيها القائد خالد بن أبي حبيب، وهي معروفة في مصادر المؤرخين التقليديين بـ (غزوة الأشراف) وذلك لما أسفرت عنه من تضحية جماعية ونكبة جسيمة حلت بالعرب المقاتلين" (2).

(1) - عبد العزيز فلالي، م، س، ص 56.

(2) - إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن 1هـ ص 354-355.

## الغزو العربي

و لكن بنتائج أثر خطورة" (1) بحيث أسفرت معركة بقدرورة سنة 123هـ عن انهزام جيش كلثوم "الذي آل مصيره إلى ثلث مقتول. و ثلث منهزم وثلث مأسور. على حد قول صاحب الأخبار المجموعة" (2).

"وبعد معركة سبو. انتزع البربر زمام الموقف من العرب الذين تراجعوا عن المغربيين الأقصى والأوسط وانكفأوا داخل القيروان ... و في ذلك الوقت كانت الثورة قد بلغت أقصى مراحل انتشارها وقطعت شوطا كبيرا في محاولتها الاستقلالية (3)" فلم يؤثر عليها الانهزام في معركة الأصنام والقرن. " ذلك أن معركة الانتقام لم تكن على مستوى هزمتي (شليف) و (سبو) ... والدولة الأموية لم تعد قادرة على استرجاع مواقعها السابقة في المغرب. فقد انتقل الصراع الدموي إلى العاصمة دمشق وفشل خلفاء هشام خلال السنوات القليلة المتبقية من عمر هذه الدولة في إنقاذ الوضع العربي الذي تدهور بصورة مذهلة، ليس فقط في المغرب ولكن في بقية الولايات. غير أن هذا الإقليم استرد الجزء الأكبر من شخصيته التاريخية حين ربح معركة الحكم الذاتي. رغم التجديد الذي طرا على مركزية النظام وانتقال السيادة إلى الأسرة العباسية" (4). فقد تواصلت الثورات على امتداد مكاني وزماني اكبر. وتمكن الثوار ولفترات

(1) - إبراهيم بيضون. ملامح التيارات السياسية في القرن 1هـ ص 257.

(2) - محمود إسماعيل. الخواص في المغرب الإسلامي. ص 53.

(3) - إبراهيم بيضون. ملامح التيارات السياسية في القرن 1هـ ص 258.

(4) - إبراهيم بيضون. ملامح التيارات السياسية في القرن 1هـ ص 259.

ولأبعثن لهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي. ثم لا تركت حصن بربري إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسي أو تميمي" (1).

ويبدو من خطاب الخليفة. العنصرية الواضحة التي كان يضمها للبربر المغاربة، والتي سيسلكها وسيعبر عنها أيضا قائد جنده كلثوم بن عياض. تعبيرا عسكريا عنيفا. خصوصا وأن الخليفة أذن له "باستباحة ذمار جميع النواحي التي يستولي عليها. وقتل كل من يقع في يديه من العصاة" (2).

"وهكذا استعدت الجيوش الخلفية: من الجند النظاميون والمتطوعة للمسير من الشام إلى إفريقية... وخرج كلثوم بأهل الشام ومعه بلج على مقدمته من الخيالة وعندما دخل مصر انضم إليه من جندها ثلاث آلاف ... وأخذت قوات كلثوم تزداد عددا على طول الطريق نحو المغرب بمن انضم إليه من جند برقة وطرابلس. فتضخم تضخما عظيما حتى بلغ عدده سبعين ألف رجل" (3).

ورغم كثافة الجيش الذي أرسل إلى المغرب لإخماد ثورة البربر. فإن الانسجام بين عناصره كاد يكون مفقودا " وهذا ما أوقع الجبهة في صراع مكبوت تجاوز الخلفية القبلية إلى النزعة الإقليمية بين مقاتلي الشام تحت قيادة كلثوم بن عياض و بين مقاتلي المغرب بقيادة حبيب بن أبي عبيدة ... فقاتل هذا الجيش رغم كثافته ببطء وتناقل مما أدى إلى تكرار التجربة والهزيمة معا

(1) - الرقيق. م. س. ص 75.

(2) - دوزي. م. س. ص 150.

(3) - سعد زغلول. م. س. ص 293-294.

## الغزو العربي

الإسلام الرسمي للخلافة وبين الإسلام الثوري الذي يجسده مذهب الخوارج، وبغيبون الأسباب والمظاهر الحقيقية والتاريخية لهذه الثورة وبلغون المغاربة كعنصر فاعل وأساسي فيها. فيلبسونها. انطلاقاً من كل هذا لباساً غير لباسها وهوية غير هويتها. لأن الحقيقة التاريخية تثبت أن هذه الثورة كانت ثورة مغربية صرفة أشعل فتيلها المغاربة وكانوا بمثابة الحطب الذي احترق فيها وسنين ذلك انطلاقاً مما يلي:

اندلعت الثورة رداً على تجاوزات واضحة من طرف الولاة كانت بذلك رداً منطقياً.

قبل الاندلاع العسكري للثورة أرسل المغاربة وفداً إلى المشرق لإطلاع الخليفة على تجاوزات ولاته، وكان الوفد يتكون من زعماء وشيوخ القبائل البربرية المغربية وكان بقيادة شخصية مغربية هي: ميسرة المطغري.

حدث الوفد باسم المغاربة وأبلغ شكواهم إلى الخلافة ولم تكن هناك أية إشارة إلى الخوارج.

الوفد الذي توجه إلى المشرق هو الذي أعلن الثورة مباشرة بعد عودته.

نتائج الثورة أدت إلى استقلال المغاربة، وتكوين دول مغربية، ورغم بروز بعض الدويلات ذات الإيديولوجية الخارجية، فلم يكتب لها الاستمرار بحيث أن كل هذه الدول الصغيرة إن صح التعبير ستختفي لتفسح المجال أمام بروز الدولة المغربية الحقيقية والتي ستجمع شتات كل المغاربة وكل المغرب.

متعددة من دخول القيروان والسيطرة عليها، وإحراق هزائم فادحة بقوات الخلافة، بل وإرغامها في نهاية المطاف على الرحيل النهائي. هذا على المستوى العسكري.

على المستوى السياسي، عجلت هذه الثورات بانفصال المغرب عن المشرق وكانت بوادر الانفصال قد ظهرت منذ التواجد الأموي. ببروز مجموعة من الدويلات المستقلة، على أن الولادة الفعلية والحقيقية للدولة المغربية ستبدأ مع المرابطين وما جاء بعدهم من الدول: (الموحدون، المرينيون، الوطاسيون، السعديون، العلويون).

وثورة بهذا الحجم، وبهذه الأهمية التاريخية الكبرى، وبهذه النتائج، بالنظر إلى أنها أدت إلى بروز قوة في الغرب الإسلامي تظاهي وتنافس الدولة الإسلامية في المشرق.

ثورة بهذه القوة لا بد أن تثير الكثير من الجدل والنقاش والاختلاف، والتساؤل على الكثير من المستويات، على أن السؤال الأساسي والجوهري والضروري أيضاً هو:

ما هوية هذه الثورة؟

يعتبر الكثير من الباحثين أن الثورات التي قامت في المغرب ضد الدولتين الأموية والعباسية كانت ثورات خارجية انطلقت وجسدت فكرة وإيديولوجية الخوارج، الداعية إلى الثورة على أئمة الجور وعدم الخضوع للسلطة الظالمة، فيتحدثون انطلاقاً من ذلك عن انتصارات للخوارج الإباضية أو الصفرية على جيوش الخلافة، فيحولون بذلك الثورة إلى صراع إيديولوجي ديني بين

## الختامة

اعتناق المذهب الخارجي من طرف المغاربة أيام الثورة لم يكن إلا مظلة إيديولوجية وفكرية ضرورية ومهمة أيضا انطلاقا من مبادئ الخوارج المعروفة: الدعوة إلى العدالة، والمساواة، والثورة على الحكام الظالمين.

وهذا بالضبط ما كان يبحث عنه المغاربة، بعد أن وقفوا على التناقض الصارخ بين مبادئ الإسلام الحقيقية وبين سلوكيات الولاة وخلفائهم، فاعتناق المذهب الخارجي كان في حد ذاته ثورة على الإسلام الرسمي للدولة الأموية، والذي لحقه الكثير من التشويه.

واعتناق المذهب الخارجي من طرف المغاربة يذكرنا باعتناقهم " للدوناتية " أيام التواجد الروماني ردا على المسيحية الرسمية للدولة.

ثورات المغاربة انطلقت قبل وصول الخوارج إلى المغرب، بحيث كانت ردا منطقيا على تجاوزات كثيرة منذ الفاتحين (ثورة كسيلة، ثورة داهيا)، وتواصلت أثناء حكم الولاة، فكان مقتل يزيد ابن أبي مسلم، واضطرار الكثير من الولاة إلى الاستقالة والانسحاب كنتيجة للضغط الثوري الذي فرضه المغاربة.

إذن وجود الخوارج في المغرب كان عاملا مساعدا ومهما على إذكاء ثورة منظمة وذات مرجعية إيديولوجية، انطلاقا من مبادئهم الثورية، ليس إلا.

## الغزو العربي

هذه الفترة هي الوحيدة فهناك عدة طرق أخرى لمباشرة الموضوع مباشرة تاريخية.

كما لا أدعي أن هذا البحث هو عين الصواب، لكن كل ما أدعيه هو أنه محاولة لاستقراء تاريخ المغرب بالشكل الذي اخترته، وهو قابل للتطوير والتجديد والتحسين والتقويم والنقد، لكنه غير قابل تماما للإلغاء المطلق.

## الخلاصة:

إن موضوع دراستنا هذا، ما هو إلا نظرة فقط من بين الكثير من النظرات التي يمكن أن نتعامل بها مع تاريخ المغرب والإسلام في فترة الفتوحات. وهذا التعدد والتنوع في التعامل مع المواضيع التاريخية، هو من أدبيات وأساسيات علم التاريخ. فلا يمكن لأحد أن يحتكر الحقيقة التاريخية، ولا يحق لأي كان أن يدعي بنهاية التاريخ عنده إن على مستوى الكتابة أو على مستوى الوقائع والأحداث، كما فعل " افرانسييس فوكوياما ".

فالتاريخ جدد متواصل وحركة دائمة، إن على مستوى الوقائع أو على مستوى التعاطي للكتابة التاريخية وإعادة بناء أو صياغة التاريخ.

وعلى هذا الأساس تعاملت مع الموضوع الذي اخترته، بحيث نظرت إلى تاريخ المغرب والإسلام بهذه الطريقة التي تكونت لدي طبعاً بعد الإطلاع على الكثير من مصادر و مراجع هذه الفترة، ولم تأت اعتباطاً أو صدفة.

فحاولت أن أبني نسفاً تاريخياً قوياً ومتكاملاً، يزكبه ويؤيده ما اعتمدت عليه من مادة علمية متنوعة.

ولا أدعي أن هذه النظرة التي نظرت بها إلى تاريخ المغرب في